

لكلمة "السيادة" للدولة المستقلة التي لا سلطان فوق سلطانها، ولا تخضع لغير إرادتها في مقدراتها، ومعنى ذلك أن الـ هو السيّد المطلق لكل عبده، والرسول ممثل لسيادة الـ بتنفيذ أحكام شرعه لا سلطان لغير الـ عليه، والمؤمنون - الأمة - هم خلفاء الـ ورسوله في تمثيل سيادة الـ وسلطانه، وبلفظ أو صـح: إن الـ قد جعل السيادة له على الأمة الإسلامية وجعل هذه السيادة بعد الائه نفسها لا لفرد من أفرادها، وبذلك تم معنى سيادة الفرد على نفسه، ومساواته تماماً لأخيه في كل نواحي الحياة، ومن هنا صـح توجيه الخطاب إلى الأمة، كما قلت فيما سبق: إن القرآن عرف الأمة أو لا، وعرف الفرد عضواً من أعضائها إلا أنه قضى على استبداده بها.

قد يسأل البعض: إذا كانت نظرة القرآن هكذا إلى الانسانية وكرامتها، وإذا كان قد منح كل إنسان حق الحياة في حرية وأخوة ومساواة، فما باله يبيح استرقاق الإنسان للإنسان، ويبيح للمسلمين جبر غيرهم على معتقداتهم؟! وهذا سؤال وجيه نجيب عليه بإيجاز.

1- نظر الإسلام إلى الرق على أنه أمر اجتماعي اقتصادي قامت عليه آثار إباحية في حياة البشر قروناً طويلة، ورأى الإسلام إن أسبابه غير محدودة ولا مضبوطة، فعالجه علاجاً خاصاً يشبه إلى حد بعيد علاجه لمشاكل الخمر ومفاسدها فمن ناحية الأسباب، أو طرق الاسترقاق المتعارفة إذ ذاك، ألغى جميع هذه الأسباب وتلك الطرق، وقصره على حالة واحدة هي حالة الحرب بين المسلمين وغيرهم، فمن أسره المسلمون فهو رقيق مالم يدخل في الإسلام قبل أسره، وبذلك كان الإسلام من أسباب الحرية، لا من وسائل العبودية، ومن أقام على معتقده فهو رقيق للمسلمين، وقصد بذلك وضعه في بيئة الإسلام ليمحصه على مهل، ويراه عملياً عسى إن تنهذب نفسه وتهفو إلى مبادئ اليسر والخير، وكثيراً ما أسلم الأسرى عن هذا الطريق، وبلغه العصر، وقد عزله - كما يعزل المريض - عن بيئته على أمل أن يصح، وبهذا انحصر الرق في دائرة ضيقة؛ ومن ناحية أخرى